دور المقطع الصوتي وإيقاعه في إبراز معاني القرآن الكريم

أ/ محمّد بولخطوط
جامعة جيجل

مقدمة:

يندرج المقطع الصوتي في الدرس اللغوي ضمن ما يعرف في علم الأصوات بـ: الملامح فوق/غير التركيبية؛ أي الخصائص الصوتية التي تميّز فونيما عن فونيم آخر، وهاته الملامح الصوتية تقع خارج البنية

اللغوية، لأنّها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية كما هو الحال مع الصوامت والصوائت بيد أنّ لها تأثيرات موجّهة للبنى الوظيفية، وتعتبر مسألة البحث عن دلالة المقطع الصوتي من خلال الأداء والإيقاع المصاحب له من الدراسات اللغوية الحديثة، وسنحاول في هذا البحث الكشف عن دلالة المقطع الصوتي في سورة المائدة من خلال أمرين اثنين: الأول الدلالة المستمدّة من اسم المقطع في حدّ ذاته، والآخر: الدلالة المستمدّة من الخصائص النطقية والفسيولوجية للمقطع الصوتي.

أولا: تعريف المقطع

1 ـ لغة:

جاء في المعجم الوسيط: «قَطَعَ الشيء قَطْعًا: فصل بعضه وأبانه، وفلانا عن حق فلان: منعه منه(...)، والمقْطَعُ من كلّ شيء: آخره حيث ينقطع وينتهي، كمقاطع الرمال والأودية والمزارع ونحوها، ومن النهر: الموضع الذي يعبر فيه، ومَقْطَعُ الحق: ما يُقْطَعُ به الباطل(...) والمقْطَعُ: نصل رقيق من الخشب أو المعدن أو العاج يُقطع به الورق(...)، والمقْطَعُ من الرجال: من ليس له عمل ولا كسب...»[1].

فالمقطع في اللغة يطلق على المنع، نهاية الأشياء وحدّها،...الخ.

2 ـ اصطلاحا:

اختلفت وجهات نظر العلماء وآراؤهم حول تعريف المقطع باختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم في البحث؛ فثمة اتجاه يعرّف المقطع نطقيا ماديا، وآخر فيزيائيا أكوستيكيا، واتجاه ثالث يعرّفه وظيفيا فونولوجيا.

أ/ من الناحية النطقية (الفسيولوجية):

يعرّفه "أحمد كشك" بقوله: «هو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلّم، فكلمةٌ مثل: "كتب" المكونة من ثلاث أحرف يمكن نطقها على ثلاث وحدات: الكاف مفتوحة ثمّ التاء مفتوحة، ثمّ الياء مفتوحة أيضا»[2].

وإلى شيء من هذا ذهب "تمام حسّان" حينما عرّف المقاطع قائلا: «المقاطع هي تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية أو أشكال وكميات معينة، وعلى هذا الأساس بنى علماء العروض من العرب مقاييسهم العروضية، حيث نظروا إلى المقاطع باعتبارها خفقات صدرية أو وحدات إيقاعية أو شيئا له هذه الطبيعة، ووصفوا النظام الإيقاعي العروضي باستخدام الاصطلاحين (حركة) و(سكون) ودلّوا على الحركة بشرطة، وعلى السكون بدائرة».[3]

يفهم من خلال هذا التعريف أنّ كل ما من شأنه أن يشكّل خفقة أو نبضة صدرية يسمى **مقطعا**.

ويوضّح "غانم قدوري الحمد" التعريفين السابقين بمثالين فيقول: «...ويستطيع الدارس أن يضع كفه على أسفل صدره وينطق بكلمة(كَتَبَ) نطقا متأنيا هكذا [كَ تَ بَ]، وسوف يحسّ بضغطات الحجاب الحاجز على الصدر، وهي ثلاث تقابل مقاطع الكلمة الثلاث، وكذا لو نطق عبارة (لَمْ يَكْتُبْ)، فإنّه يستطيع أن يميّز ثلاث مقاطع أيضا [لَمْ / يَكْ/ تُبْ]، وأن يحسّ بالخفقات أو الضغطات الصدرية الثلاث وهكذا دائما»[4].

إذن فواضح من خلال هذا الكلام أنّ المقطع الصوتي بالنظر إليه من الناحية النطقية الفسيولوجية يشكّل نبضة صدرية واحدة، وأنّ تعدد هذه النبضات يعني بالضرورة تعدد المقاطع الصوتية، ويمكن أن نلمس هذا أيضا في كلام "عبد الصبور شاهين" أثناء حديثه عن المقطع والذي يذهب فيه مذهب "تمّام حسان" فهو عنده عبارة عن «مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ويعتمد على الإيقاع التنفسي، فكلّ ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعا يعبّر عنه مقطع مؤلف في أقلّ الأحوال من صامت وحركة (ص+ح)»[5]. غير أنّ في هذا التعريف نوع من الارتباك، فالمقطع مهما كان نوعه: قصيرا أو متوسطا أو طويلا لا يمكن بمفرده أن ينتج أو يشكّل إيقاعا موسيقيا، يترك له أثرا في النفس.

ب/من الناحية الأكوستيكية (الفيزيائية):

يعرّف "ماريو باي" المقطع بأنّه: «عبارة عن قمّة إسماع غالبا ما تكون صوت علّة، مضاف إليها أصوات أخرى عادة، ولكن ليس حتما تسبق القمّة أو تلحقها أو تسبقها وتلحقها، وتوجد لغات كثيرة يمكن فيها للام والراء والميم والنون، وحتى السين والزاي أن تقطع قمّة إسماع مكان العلّة، وتكون محور المقطع»[6].

ويضيف "عصام نور الدّين" تعريفا آخر للمقطع من حيث الإدراك والتلقي قائلا: «هو مجموعة صوتية تحوي قمّة الوضوح السمعي[*]، وتقع بين حدّين أضعف من حيث الإسماع؛ أي أنّ المقطع من هذا المنظار هو المدى الذي يقع بين حدّين من الإسماع»[7].

وفي الحقيقة إنّ هذين التعريفين لم يعتمدا في تحديد مفهوم المقطع على الجانب الأكوستيكي فحسب، بل اعتمدا كذلك على الجانب السمعي الإدراكي، فكلّ ما من شأنه أن يمثّل قمّة الوضوح السمعي فهو **مقطع صوتي**، وإنّما يكتسب هذه الخاصية من خلال اشتماله على الصوائت ذات البروز السمعي الواضح، أمّا الاعتماد على الجانب الأكوستيكي أو كما يسمى الفيزيائي، فيُقْصَدُ به ما يتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته وذبذباته في الهواء إلى أذن السامع وأثر ذلك الانتقال من الناحية السمعية والإدراكية.

ج/ من الناحية الوظيفية (الفونولوجية):

يذهب التعريف الوظيفي للمقطع إلى وصفه «كأصغر وحدة في تركيب الكلمة، من حيث تميّزه في كلّ لغة، ويتكوّن المقطع في أبسط أشكاله من صوتين الأول: صامت، والثاني: صائت»[8].

وهذا التعريف ينظر للمقطع من خلال الوظيفة الدلالية التي يؤديها، فهو الوحدة اللغوية التي يقوم فيها "الفونيم" بأداء وظيفته داخلها، فـ"الباء" مثلا في كلمة (كَتَبَ)، تشكّل مقطعا صوتيا في أبسط أشكاله، لأنّه يتكون من صامت فصائت، وكلاهما فونيم يؤدي استبدالهما معا أو استبدال أحدهما بمثله (الصامت بصامت آخر، والصائت بصائت آخر) إلى تَغَيُّرٍ في المعنى، فكَتَبَ غير كَتَمَ، وهذا التغير في المعنى ناتج أساسا عن تغيير فونيم "الباء" دون حركته في المقطع الثالث، بفونيم آخر وهو "الميم" المتحركة بحركة الفونيم الأول، إذن فالمعنى هنا تَغَيَّرَ نتيجة تَغَيُّرِ الصامت، ومثال تَغَيُّرِ المعنى نتيجة تَغَيُّرِ الصائت، كلمة "بُر" التي تطلق على القمح،

فهذه الكلمة تتكون من مقطع واحد طويل ومغلق، والذي بدوره يتشكل من ثلاث فونيمات، واستبدال حركة "الباء" بحركة أخرى يؤدي ذلك إلى تغير في المعنى، فبُرْ يختلف في المعنى عن"بِر" (الطاعة وعمل الخير)، كما يختلف بدوره عن كلمة "بَر" التي تحيل على معنى اليابسة، وهكذا مع باقي الكلمات الأخرى.

وجاء في التعريف الوظيفي السابق للمقطع أنّ المقطع ـ كما سيتم الإشارة لاحقا ـ يتكون في أبسط أشكاله من صوتين: الأول "صامت" والآخر "صائت"، وهذا يعني أنّ المقطع الصوتي لا يبدأ بالحركات وإلى شيء من هذا القبيل يذهب "رمضان عبد التواب"حيث نجده يقول: «المقطع الصوتي هو كمية تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي العربية الفصحى مثلا لا يجوز الابتداء بحركة، ولذلك يبدأ كلّ مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة»(9).

ويقدّم "غانم قدوري الحمد" تعريفا جامعا مانعا للمقطع يجمع فيه كلّ الجوانب السابقة الذكر والتي على أساسها يتمّ تحديد مفهومه، يقول فيه: «المقطع مجموعة أصوات تُنْتَجُ بضغطة صدرية واحدة، تبدأ بصوت جامد يتبعه صوت ذائب (قصير أو طويل)، وقد يأتي متبوعا بصوت جامد أو اثنين، ويكون الصوت الذائب فيه قمّة الإسماع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى التي يتألف منها المقطع»(10).

وفي هذا التعريف إشارة واضحة إلى الجوانب الثلاثة المعتمدة في تحديد مفهوم المقطع وهي: الجانب النطقي فالوظيفي ثمّ السمعي بهذا الترتيب، كما أشار التعريف أيضا وبوضوح إلى أنّ "قمّة الإسماع والبروز" إنّما تتحكم فيها الأصوات الذائبة؛ أي الصوائت، سواء أكانت قصيرة أم طويلة، أكثر من غيرها من الأصوات الجامدة؛ أي الصوامت التي تدخل في تشكيل المقاطع الصوتية كوحدات مساعدة.

ثانيا: مكونـــات المقطع

يُبنى المقطع في اللغة العربية على العناصر المتناظرة التي تحتويها بنيته، وتتألف النظائر المتتابعة في حدود المقطع من: «الفونيمات اللغوية المفردة، ولكلّ مقطع جزء رئيسي يكون بارزا وظاهرا، ويطلق على هذا الجزء نواة المقطع، وتسمى العناصر الباقية العناصر المساعدة، وتقسّم الفونيمات المفردة في العربية إلى فونيمات مركزية وغير مركزية، وتشكّل الحركات القصيرة الثلاث

مع نظائرها الطويلة نواة المقطع دائما، وتمثّل دائما جميع السواكن والصوتان الجهوران "الياء والواو" الفونيمات المساعدة في بنية المقطع»[11].

وإلى شيء من هذا تذهب "فضيلة مسعودي" حيث تحدد مكونات المقطع فتقول: «المقطع وحدة صوتية مفردة أكبر من الصوت، مكونة من مادة أوّلية هي الأصوات الواقعة أثناء عملية الكلام، التي تتمّ بطريقة الانفتاح والانغلاق»[12].

يتبين من خلال ما سبق ذكره أنّ المقطع الصوتي في العربية يتكون من عنصرين اثنين هما: عنصر رئيسي يشمل "الصوائت العربية"، والتي تشكّل بدورها قمّة البروز السمعي كما أشار "غانم قدوري الحمد" سابقا في تعريفه للمقطع. وهذه الصوائت هي نواة المقطع ومركزه وأساسه، وعنصر آخر مساعد ويشمل جميع الصوامت العربية، دون أن يعني هذا الكلام أنّه يمكن الاستغناء عنها؛ فلا وجود لمقطع خال من صامت، كما لا وجود لمقطع خال من حركة، غير أنّ الصوائت هي غَالِبُ ما يقع عليها درجة الارتكاز وهذا ما يعرف في اصطلاح علماء الأصوات بـ:**"النبـر"**[**].

والمقطع بهذا المعنى أكبر من الصوت المفرد، كما أنّ المقاطع إمّا أن تتكوّن بطريقة الانفتاح الذي

يفتح المجال لأن يكون المقطع أطول، أو طريقة الانغلاق والذي من شأنها أن تحدّ مجال المقطع، ويمكن أن يُفهم من هذا الكلام أن المقطع على أنواع متعددة: مفتوح ومغلق، طويل وقصير ومتوسط،... ويُقَسِّم "إبراهيم أنيس" المقطع باعتبار نهايته من حيث التحريك والتسكين إلى قسمين هما: «المقطع المتحرك، والمقطع الساكن؛ فالأول هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أمّا المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن»[13].

وقبل الخوض في أشكال المقطع لا بدّ أولا من الوقوف على العلاقة الموجودة بين المقاطع الصوتية وبين الكلمة، بحيث يعدّ المقطع الصوتي «وحدة صوتية أصغر من الكلمة؛ أي أنّ الكلمة يقوم هيكلها على المقطع الصوتي الذي يستمدّ كيانه من الصوامت "The consonants"و الحركات "The vouels"»[14].

إذن فالعلاقة بين المقطع وبين الكلمة هي علاقة جزء من كل، وقد يشكل المقطع الواحد كلمة مفردة، ولا يمكن للكلمة أن تكون خالية من المقاطع؛ بل أنّ عناصر المقطع هي نفسها العناصر التي تتدخل في بناء الكلمة العربية، إذن فالعلاقة بينهما متكاملة.

ثالثا: أشـــكـــال المـقـطع في اللغة العربية

تنقسم المقاطع في اللغة العربية إلى قسمين اثنين هما[15]:

1 ـ المقطع القصير: وهو الذي يبدأ بصوت صامت تتلوه حركة قصيرة، وهو أصغر صورة للمقطع العربي، ولا يكون هذا النوع من المقاطع إلا مفتوحا.

2 ـ المقطع الطويل: وهو المقطع الذي يتكون من صوت صامت تتلوه حركة طويلة، أو صامت تتلوه حركة قصيرة يتبعها صامت مغلق، ويكون هذا النوع مفتوحا ومغلقا، ويمكن إطالة المقطع الطويل المفتوح عن طريق زيادته بصامت فيصبح المقطع مديدا مغلقا، كما يمكن إطالة المقطع الطويل المغلق عن طريق زيادته بصامت، فيصبح المقطع زائد الطول مغلقا بصامتين.

بناء على هذا الكلام يمكن القول بأنّ اللغة العربية تشتمل على خمسة أنواع من المقاطع وهي[16]:

1 ـ المقطع القصير المفتوح: ص ح، مثل: كَ+ تَ+ بَ.

2 ـ المقطع الطويل المفتوح: ص ح ح، مثل: كَا

والنوعان السابقان لا يكونان إلاّ مفتوحين.

3 ـ المقطع الطويل المغلق: ص ح ص، مثل: تَبْ

4 ـ المقطع المديد المغلق: ص ح ح ص، مثل: قَالْ عند تسكين الآخر، أو كما في دَابَةْ عند الوقف.

5 ـ المقطع الزائد الطويل: ص ح ص ص، وذلك في مثل: مِصْرْ، و عَصْرْ، عند تسكين الآخر أو عند الوقف على الآخر.

ملاحظـــات:

1 ـ اتفق الدارسون قديمهم ومحدثهم على رمز(ص) للصامت أو الصوت الساكن، ولكنّهم اختلفوا في الترميز للحركة طويلة أكانت أم قصيرة، فمنهم من أعطاها رمز (ح)، ومنهم من أعطاها رمز (ع)، فضلا عن اختلافهم في الاصطلاح عن الصامت بهذا الاسم وكذا بالحبيس والجامد، وعن الصائت بهذا الاسم وكذا بالطليق والذائب.

2 ـ يسمي بعض الباحثين "المقطع الطويل المفتوح" و"المقطع الطويل المغلق" بالمقطع المتوسط؛ الأول مفتوح والآخر مغلق، أمّا "المقطع المديد المغلق" و"المقطع الزائد الطويل" فيسمونه مقطعا

طويلا، ومن هؤلاء: "تمام حسّان" و"كمال بشر" وغيرهما، ممّا يعني أنّ المقطع عندهما يكون إمّا قصيرا أو متوسطا في شكلين أو طويلا في شكلين أيضا.

3 ـ يعلّق "محمد الأنطاكي" على الأشكال الأربعة الأولى للمقطع الصوتي في اللغة العربية السابقة الذكر فيقول: «والأشكال الثلاثة الأولى شائعة في العربية كثيرا، وتقع في صدور الكلمات وأحشائها وأعجازها على حدّ سواء، أمّا الشكل الرابع فقليل، ولا يقع إلاّ في الأعجاز حين الوقف بالسكون (كِتَابْ)، أمّا وجوده في الحشو فهذا نادر جدا، ولا يكون ذلك إلاّ في حالة الإدغام، نحو: (شَابَّهْ = شَابْ + بَهْ)»[17].

ويضيف قائلا عن الشكل الخامس: «أمّا الشكل الخامس فلا يقع إلاّ في الأعجاز حين الوقف بالسكون مثل: هِزَبْرْ = هِ + زَبْرْ، وعلّة امتناع وجوده في الصدور والأحشاء هي كراهية العربية لتوالي ثلاثة حبيسات ليس بينهما طليق، وهو ما يعرف اليوم بالالتقاء الساكنين...»[18].

رابعا: الخصائص العامة للمقطع في العربية

يتسم المقطع الصوتي في اللغة العربية بجملة من المميزات العامة يمكن حصر أهمها في النقاط التالية[19]:

1 ـ أنّه يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر، إحداهما حركة بالضرورة؛ فلا وجود لمقطع خال من الحركة، وهذا يعني أنّ المقطع في العربية لا يتكون من الصوامت فقط، بل يتكون من الصوامت والحركات (الصوائت).

2 ـ أنّ المقطع في العربية لا يبدأ بصوتين صامتين، كما أنّه لا يبدأ بحركة؛ أي أنّه لا يبدأ بحرف(صامت) ولا تسبق الحركة فيه الحرف.

3 ـ لا ينتهي المقطع بصوتين صامتين إلاّ في حال الوقف؛ هذا يعني أن الحالة الاستثنائية لتوالي صامتان في المقطع العربي هي حالة الوقف.

4 ـ يتكون أطول مقطع في العربية من أربع وحدات (فونيمات).

5 ـ لا تزيد مقاطع الكلمة المجردة من اللواحق عن أربعة مقاطع إلاّ ناذرا.

6 ـ يمكن أن يتوالى في الكلمة العربية المجردة مقطعان طويلان مفتوحان، ولكن لا يتوالى ثلاثة مقاطع طويلة.

7 ـ لا يُتبع المقطع الطويل المفتوح بصامت إلاّ حال الوقف أو الإدغام.

خامسا: المقاربة الصوتية للمقطع الصوتي في سورة المائدة: الأداء والدلالة

يتناول هذا العنصر من البحث مجموعة من آيات سورة المائدة، يتمّ فيها تقطيع الآيات تقطيعا صوتيا، ثمّ محاولة إحصاء تواتر هذه المقاطع حسب نوعها، وفي الأخير نحاول أن نعقد علاقة بين دلالة المقطع خارج سياق الآية، وبين معناه وهو داخلها، أي عند موضع وموقع المقطع في الآية الكريمة.

ونظرا لضيق مساحة البحث، فقد تمّ ها هنا الاكتفاء فقط بالدلالة الصوتية للقطع الصوتي، مع الإشارة إلى نتائج التقطيع الصوتي للآيات المختارة من سورة المائدة كما يلي:

1 ـ الآية 33

أ/ نص الآية: قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33)**﴾.

ب/ الدلالة الصوتية للمقطع الصوتي:

شهد المقطع القصير المفتوح في هذه الآية الكريمة تواترا ملحوظا؛ تكرّر على مستواها: 42 مرّة من أصل 87 مقطعا بنسبة مقدّرة بـ: 48,28%، ويبدو أنّ لهذا التواتر دلالته ومعناه، فممّا يمتاز به هذا النوع من المقاطع هو: قابليته للامتداد، وفي هذا المعنى ما يتماشى مع الدلالة المقصودة في الآية السابقة، أو بتعبير أدق: إنّ الزجر والعقاب مستمرّ على المحاربين ما دام أنّهم مستمرّين في الحرابة، بل إنّ ذلك ممتدّ إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ /33، ويشترك مع المقطع القصير في دلالته المقطع المتوسط المفتوح، والذي تكرّر على مستوى هذه الآية 17مرّة، بنسبة: 19,54%، فكلاهما يحملان معنى الامتداد والاستمرارية، وما يزيد المعنى تأكيدا وتقوية تواتر المقطع المتوسّط المغلق، إذ تكرّر في هذه الآية:27 مرّة بنسبة: 31,03%، وهو هنا يدلّ على الزّجر والتأنيب (جَزَاءُ+يُقَتَّلُوا+يُصَلَّبُوا+تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ +يُنفَوْا+خِزْيٌ+عَذَابٌ عَظِيمٌ)، وكذا السرعة في التوبة، يقول "أحمد أبو زيد": «إنّ استخدام القرآن للمقاطع المقفلة التي تنتهي بالسكون الحي الجازم في مقامات: الجدّ والصرامة والحسم، وفي تصوير الانفعالات الحادّة والحركات العنيفة وسرعة الأحداث...»[20]. فكلّ هذه الدلالات واضحة وجليّة في الآية السابقة،

ثمّ إنّ العبد إذا أسرع في التوبة إلى الله وأخلص العبادة له، وأناب إليه بترك الحرابة، فممّا لا شك فيه أنه سبحانه وتعالى سيعجّل له بالنعم والآلاء، ويقبل منه توبته، وهذا ما يتّضح جليًا من خلال قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾المائدة/34.

2 ـ الآية 43:

أ/ نص الآية: قال الله تعالى: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43)**﴾.

ب/الدلالة الصوتية للمقطع الصوتي:

اشتملت الآية 43 من سورة المائدة على 46 مقطعا صوتيا، توزّعت على أربعة أنواع مختلفة: تكرّر فيها المقطع القصير 26 مرّة بنسبة: 56,52%، المقطع المتوسّط المغلق: 12 مرّة بنسبة: 26,09%، أمّا المقطع المتوسط المفتوح فتكرّر 7 مرّات بنسبة: 15,22%، في حين احتلّ المقطع الطويل (ص ح ح ص) المرتبة الأخيرة لتكراره مرّة واحدة فقط، وذلك بنسبة مقدّرة بـ: 2,17%.

بناء على هذا الكلام فقد عرف المقطع القصير المفتوح تراكما بارزا على مستوى هذه الآية الكريمة؛ إذ فاق وروده في الآية نصف مقاطعها، فبالعودة إلى التقطيع الصوتي لهذه الآية نجد له تتابع ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي، وهو في جميع الأحوال يدلّ على معنى الامتداد والاستغراق، وهذه الدلالة متناسبة مع مضمون الآية؛ ففيها استغراب من أولئك الذين حكّموا الرسول(ص) في قضية ما، ولهم التوراة وهي شريعتهم فيها حكم الله فيما حكّموه فيه، وهذا يعني أنّهم ليسوا مؤمنين بالتوراة حقّ الإيمان، بل امتدّ عدم إيمانهم واستغرق رسول الله محمّد عليه أفضل الصلاة والتسليم، لكونه قد حكم لهم فيما طلبوه منه بما لا يوافق أهواءهم ورغباتهم، فتولّوا وأعرضوا عنه هو الآخر، إذ لم يأت بالحكم وفق مرادهم.

3 ـ الآية 64

أ/ نص الآية: قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا**

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)﴾.

ب/ الدلالة الصوتية للمقطع الصوتي:

اشتملت الآية 64 من سورة المائدة على مزيج من المقاطع الصوتية من شأنه أن يحقّق انسجاما صوتيا وإيقاعا موسيقيا عذبا، حيث نجد سيطرة واضحة للمقطع القصير (ص ح) والذي تكرّر على مستوى هذه الآية 59 مرّة من أصل 133 مقطع، وذلك بنسبة:44,36% غير أنّه في معظم حالات ظهوره عرف تتالي وتتابع، فالمتأمّل في التقطيع الصوتي لهذه الآية يجد أنّ هذا النوع من المقاطع تتوالى في الكثير من الأحيان (مقطعين أو ثلاث مقاطع قصيرة متتابعة)، وهذا التوالي من شأنه أن يحقّق ثقلا نسبيا على اللسان حال النطق بها وهي متتالية، وفي ذلك إحالة على شدّة ثقل عذاب الله تعالى على اليهود؛ بأن دعا عليهم بالبخل وانقباض الأيدي عن العطاء والإمساك عن الإنفاق في سبيل الخير، وهو دعاء من جنس افتراءاتهم، وبأن زاد في قلوبهم كفرا وتكذيبا وحسدا لمحمّد(ص) ولأمّته، وألقى بينهم وبين النصارى العداوة والبغضاء، فلا يتآلفون ولا يتناصرون ولا يتّفقون على ما فيه مصلحتهم إلى يوم القيامة، بل كانوا كلّما همّوا بالكيد للرسول(ص) وللمسلمين خذلهم الله تعالى، إمّا بأن يُخَيِّبَهُمْ في سعيهم، ولا يُتِمُّ لهم ما أرادوا من الإغراء والتحريض، وإمّا أن ينصر رسوله والمؤمنين، وفوق كلّ هذا وذاك فقد عاقب الله اليهود بأشدّ وأثقل العقوبات وأبشعها على الإطلاق؛ بأن طردهم من رحمته الواسعة وكتب لهم نار جهنّم ـ والعياذ بالله ـ خالدين فيها أبدا.

ويمكن تفسير كثرة دوران هذا النوع من المقاطع دون غيره من المقاطع، بأنّ ضروب العذاب التي كتبها الله على أهل الكتاب لا تشملهم جميعا، بل هي مقتصرة على فئة معيّنة؛ تلك الفئة التي تظلّ على كفرها وطغيانها على الرغم من التهديد والوعيد الربّاني وهذا المعنى يتناسب مع قصر هذا النوع من المقاطع.

ومعلوم أيضا أنّ هذا النوع من المقاطع لا يأتي إلّا مفتوحا، وفي الفتح دلالة قويّة على أنّ باب التوبة عند الله مفتوح، فلو أنّ أهل الكتاب أنكروا أقوالهم الباطلة وآمنوا بالله وملائكته وجميع كتبه ورسله، وامتثلوا بما جاء في التوراة والإنجيل من أوامر ونواهي، لكفّر الله عنهم سيّئاتهم وتاب عليهم، وأمطر السماء وأنبت الأرض لهم رزقا.

كما عرف "المقطع المتوسط" بنوعيه ـ هو الآخر ـ تواترا ملحوظا على مستوى هذه الآية؛ فقد تكرّر المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) على متن هذه الآية 46مرّة بنسبة: 34,59%، وفي نطق هذا النوع من المقاطع الصوتية: "إيقاف أو انقطاع للنفس ومنع من الامتداد"، فقد أمر الله عباده بأن يتعرّضوا لنفحات رحمته، وأن لا يسدّوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم، فهو لم يقطع رحمته على أحد من عباده إلّا على من استنكر وأبى، واستكبر وعصى، كما أنّه لم يمسك رزقه على اليهود إلّا حينما ادّعوا بخله تعالى عليهم، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام "الطبراني" عن "ابن عبّاس" رضي الله عنهما، أنّ «رجل من اليهود يُقَالُ له "النَّبَّاش بن قيس"قال للنبيّ (ص): إنّ ربّك بخيل لا يُنْفِقُ»[21]، فنسب الله تعالى هذا الافتراء الذي قاله بعضهم إليهم جميعا بناء على التكافل العام بين أفرادها، وردّ عليهم بمثل ما افتروا عليه. قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**﴾، وهكذا نزلت هذه الآية الكريمة، وفي هذا دلالات ومعان كثيرة، فبالعودة إلى التقطيع الصوتي لهذه الآية نلاحظ سيطرة واضحة لهذا النوع عند قوله تعالى: ﴿**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**﴾، وفي هذا الردّ الربّاني الأول عن افتراءات اليهود عنه تعالى الله عمّا يقولون علوا كبيرا: إيحاء بدلالة الردع لما فيه من زجر ومنع أولا، ولما ترتّب من إمساك اليهود لأيديهم عن الإنفاق وامتناعهم عن العطاء ثانيا جرّاء افتراءهم على الله ووصفه بالبخيل الممسك.

وما يقال عن هذه العبارة، ينطبق كذلك على قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**﴾ وفي الآية دلالة على منع الله تعالى لليهود من تنفيذ مكايدهم ضدّ الإسلام والمسلمين، وخذلهم بإبطال مساعيهم أو نصرته لرسوله والمسلمين.

كما يمكن القول بأنّ المقاطع المتوسطة المغلقة من شأنها أن تعكس بانقطاع النفس معها، وعدم جريانه أو امتداده بثبات اليهود على كفرهم وطغيانهم، وعدم تراجعهم عن ذلك.

أمّا المقطع المتوسط المفتوح(ص ح ح) والذي تكرّر27مرّة بنسبة:20,30 %، فقد شهد تراكما نسبيا في قوله تعالى: ﴿**وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**﴾، وقوله أيضا: ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾، ومعلوم أنّ المقطع المتوسط المفتوح نقيض المغلق يمتاز: بـ "طولٍ نطقي، وامتداد في حركته الطويلة" وفي ذلك دلالة على امتداد لعنة الله على اليهود، واستمرار طردهم من رحمته تعالى، وعلى طول العداء والبغض بينهم وبين النصارى، وامتداد ذلك إلى يوم الحساب.

وأمّا المقطع الطويل (المديد المغلق= ص ح ح ص)، فقد تكرّر مرّة واحدة فقط بنسبة:0,75%، وفي ذلك تأكيد لكون هذا النوع من المقاطع هو أقلّ المقاطع ورودا في اللغة العربية، ولغة القرآن هي العربية.

4 ـ الآيتان:72 و73

ارتأيت ها هنا أن أجمع بين هتيين الآيتين لاشتراكهما في نفس المعنى، وبتالي في نفس الدلالة الصوتية ألا وهو معنى الافتراء على المولى عزّ وجل.

أ/ نص الآيتين: قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)**﴾.

ب/ الدلالة الصوتية للمقطع الصوتي في هتين الآيتين:

شهدت الآيتين 72 و73 من سورة المائدة تنوعا مقطعيا واضحا احتلّت خلاله المقاطع القصيرة الصدارة كالعادة بنسبة تجاوزت 40%، فبالعودة إلى الآية72 نجد عدد المقاطع القصيرة فيها قد تكرّرت37 مرّة من أصل 84 مقطع بنسبة مقدّرة بـ: 44,05%، في حين عرفت انخفاضا بسيطا في الآية73، حيث تكرّرت فيها27 مرّة من أصل 63 مقطع، بنسبة: 42,86%. وهذه النسب المعتبرة من شأنها أن تكون ذات علاقة بمضمون الآيتين؛ فكلاهما يتحدّثان عن افتراءات فرق النصارى (الملكية واليعقوبية والنسطورية)، الذين قالوا بأنّ الله هو المسيح بن مريم، وأنّه ثالث ثلاثة ـ تعالى الله وتنزّه عن قولهم علوا كبيرا ـ فَحَكَمَ الله تعالى عليهم بالكفر وحرّم دخولهم الجنّة على لسان نبيّه "عيسى بن مريم"، الذي فنّد بدوره ألوهيته، وخاطب المسيحين بأنّه عبد لله ورسول منه إليهم.

وقد كان لتواتر المقطع القصير في هتين الآيتين دلالة مركزية حاسمة؛ فالمقطع القصير يحيل على معنى الخصوصية؛ بمعنى أنّ العذاب الإلهي الذي كتبه الله على المسيحين لا يشملهم جميعا، بل هو قاصر على فئة بعينها وهي فئة الكافرين فقط «فَعَمَّ بالوعيد تعالى ذكره كلّ كافر، ليعلم المخاطبون بهذه الآيات أنّ وعيد الله قد شمل كلا الفريقين من بني إسرائيل، ومن كان من الكفّار على مثل الذين هم عليه»[22].

ومعلوم أيضا أنّ المقطع القصير هو مقطع مفتوح في جميع أحواله، وفي ذلك دلالة أخرى حاسمة مفادها أنّ الله يغفر لمن يشاء إذا استغفر وتاب العبد من معصيته، فباب التوبة مفتوح لجميع خلقه وعباده يتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ**﴾، وهذا ملمح غير مباشر يتبعه ملمح صريح يتجلّى في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ المائدة/74.

من خلال تقطيع كلمات متن الآيتين يتبيّن لنا ـ أيضا ـ أنّهما ذات سلاسة نطقية تعود إلى مقاطعهما المتكرّرة: القصير والمتوسط بنوعيه، فمعلوم أنّ هذه الأنواع الثلاثة من المقاطع هي أكثر المقاطع شيوعا في العربية من جهة، وأسهلها نطقا من جهة أخرى. إلّا أنّ هذه السلاسة قد يعترضها شيء من الثقل لأغراض ما تخدم معنى الآيتين مصدره الأساس فيهما: تتابع المقاطع المتوسطة المغلقة في بعض المواضع؛ ففي الآية 72 تكرّرت فيها هذه المقاطع 27 مرّة، وذلك بنسبة 32,14%، حيث شهد هذا النوع من المقاطع تراكما ملحوظا خلال قوله تعالى: ﴿**مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ**﴾ (تواتر أربعة مقاطع متوسطة مغلقة دون فاصل)، فممّا لا شكّ فيه أنّ الشرك من أكبر الكبائر، وأنّ عقابه هو الخلود في نار جهنّم والعياذ بالله، ولعلّ هذا العذاب من أثقل وأشدّ أنواع العذاب على الإنسان، وما يزيد كلامنا تأكيدا: تواتر ثلاثة مقاطع متوسطة مغلقة في قوله تعالى: ﴿**عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**﴾؛ أي أنّ المشرك بالله محرّم عليه دخول الجنّة إلاّ إذا تاب من شركه.

ونفس الدلالة نجدها في الآية 73، حيث تكرّرت فيها هذه المقاطع: 18 مرّة بنسبة: 28,57%، حيث شهد التقطيع الصوتي تواترا ثلاثيا للمقطع المتوسط المغلق في كلّ من قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا**﴾ وفي الآية وعيد وتهديد، وقوله: ﴿**لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ**﴾، وفي الآية تصريح بنوعية العذاب. وفي كلا الموضعين قوّة وشدّة تتناسب مع الثقل والعسر والشدّة التي تعتري اللسان أثناء النطق بالعبارتين السابقتين من هذه الآية.

أمّا المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح)، فقد عرف هو الآخر دورانا بارزا على مستوى هتين الآيتين: تكرّر في الآية 72: 18مرّة بنسبة: 21,43%، أمّا في الآية 73 فقد تكرّر:17 مرّة بنسبة: 26,98% غير أنّه لم يعرف تتابعا بارزا كما هو الحال مع نظيره المغلق، وتبقى دلالته توحي باستمرار وامتداد كفر المسيحين الذين كذبوا على خالقهم وادّعوا الألوهية "للمسيح ابن مريم"، وأصرّوا عن قولهم بالتثليث على الرغم من ظهور البيّنات والحجج التي تبطل أكاذيبهم

والنذر بالعذاب المرتّب على أفعالهم، وذلك تماشيا مع دلالة المقطع المتوسط المفتوح الذي يمتاز بامتداد النفس في النطق به.

ومن شأن هذا الوضوح، وهذه السلاسة أيضا التي تتميّز بها هذه المقاطع الثلاثة أن يحقّقا لفت انتباه متميّز عند المتلقّي أو القارئ، لكونهما عنصرين مهمّين من عناصر الموسيقى اللغوية الجذّابة، متناسبين بذلك مع ما تحمله الآيتين السابقتين من دلالات ومعاني كالإنذار والتهديد والوعيد والتذكير والوعظ و...الخ.

أمّا المقطع الطويل (ص ح ح ص) فقد نَدُرَ وجوده في الآيتين: الآية72 ظهر مرّتان بنسبة: 2,38%، وفي الآية73 ظهر مرّة واحدة بنسبة:1,59%.

5 ـ الآية 76

أ/ نص الآية: قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76)**﴾.

ب/ الدلالة الصوتية للدراسة المقطعية:

يمكن الوقوف على الدلالة الصوتية للمقطع في هذه الآية من خلال **آلية التضاد**، فهذه الآية تحمل صوتيا معنيين متضادين هما: الامتداد والامتناع؛ فأمّا الامتداد فيجسّده سيطرة المقطع القصير الذي يمتاز بطول زمنه النطقي وامتداد النفس، إذ تكرّر على مستوى الآية15 مرّة من أصل 34 مرّة، وذلك بنسبة:44,12%، ويمكن الوقوف على هذه الدلالة من خلال امتداد "المسيحين" في اختراق الأكاذيب والافتراءات على الله تعالى والاستمرار في تصديقها، فبعد أنّ أَلَّهُوا "المسيح بن مريم"، وجعلوا الله ثالث ثلاثة، ها هو المقام هنا يتحدث عن منكر آخر من منكرات هؤلاء الذين يعبدون غير الله، ويدخل في ذلك النصارى وغيرهم؛ إذ امتنعوا عن عبادة السميع العليم بكلّ شيء، واتّجهوا إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا.

وما يزيد معنى "الامتناع" ـ في هذه الآية ـ تقوية وتأكيدا تواتر المقطع المتوسط المغلق والذي يوحي هنا بدلالة الردع والزجر، وفي نطق هذا النوع من المقاطع ـ كما أسلفنا ـ إيقاف للنفس ومنع من الامتداد، إذ تكرّر على مستوى الآية: 12مرّة، بنسبة:35,29%، بل إنّه عرف تراكما صوتيا ثلاثي المقاطع عند قوله تعالى: ﴿**لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**﴾، وفي ذلك ما يتماشى مع المعنى

المقصود؛ إذ أنّ هذا المعبود ـ غير الله ـ لا يملك القدرة على منع ضرر أو نفع لا على غيره، ولا على سواه من الذين يعبدونه.

يقول"المراغي" مفسّرا هذه الآية ومبيّنا هذا المعنى: «أي قل أيّها الرسول ـ محمّد(ص) ـ لهؤلاء النصارى وأمثالهم ممّن عبدوا غير الله ـ أتعبدون من دونه؛ أي متجاوزين عبادته وحده ـ ما لا يملك لكم ضرّا تخشونه أن يعاقبكم به، إذا أنتم تركتم عبادته، ولا يملك لكم نفعا ترجون أن يجزيكم به إذا عبدتموه؟.»[23].

فضلا عن هذا فإنّ كثرة المقاطع المتوسطة المغلقة في هذه الآية مقارنة بالعدد الإجمالي للمقاطع الصوتية فيها تتناسب مع كثرة القلوب الغافلة المغلقة والمقفلة، في حين قلّ دوران المقطع المتوسط المفتوح [6 مرّات بنسبة: 17,65%]، والمقطع الطويل(ص ح ح ص) [مرّة واحدة بنسبة:2,94%].

6 ـ الآية 91

أ/ نص الآية: قال الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)**﴾.

ب/ الدلالة الصوتية للدراسة المقطعية في هذه الآية:

على الرغم من قصر الآية الكريمة، إلّا أنّها اشتملت على عدد لا بأس به من المقاطع الصوتية (55 مقطعا صوتيا)، كما عرفت كذلك تنوعا على مستوى المقاطع المشكّلة لها، فقد احتلّت المقاطع القصيرة الصدارة لتكرارها 26 مرّة بنسبة:47,27%، غير أنّ هذا النوع من المقاطع قد عرف تراكما ملحوظا عند قوله تعالى: ﴿**أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**﴾، وهو في ذلك من شأنه أن يدلّ على معنيين متناقضين، إذ يمتاز بخصّيصتين أساسيتين: أولهما: "القِصَر"، وهي ميزة قد تصدق على تلك الفئة التي اعتادت على تعاطي الخمر وممارسة القمار، فوقع بين أصحابها العداء والتباغض والتقاتل، غير أنّ هذا العداء لا يلبث إلّا أن يعود تحابيا وتآخي بينهم(عداء قصير ومؤقت)؛ لأنّ هذه الفئة عادت إلى طاعة الله وابتعدت عن شرب الخمر وفعل القمار، والأخرى:"الفَتْح" أو "قابلية امتداد النفس"، وهي ميزة قد تصدق عن

تلك الفئة الثانية التي ظلّت مغموسة في دنس المعصية وخبث الرذيلة، حتّى إنّه قد يمضي عليها مدّة طويلة وهي لا تدري ماذا تصنع، ولماذا تصنع ما تصنع؟!.

أمّا المقاطع المتوسطة المغلقة، فقد تكرّرت20 مرّة وذلك بنسبة مقدّرة بـ: 36,36%، عرف هذا النوع من المقاطع تواترا رباعيا عند قوله تعالى: ﴿**وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾، ولسيطرة المقطع المغلق في هذه القطعة القرآنية دلالة محورية حاسمة مفادها: أنّه أوّلا: مقطع متوسط؛ أي أنّه وسيط بين العبد وربّه، بمعنى أنّ شرب الخمر ولعب الميسر أمور مانعة للفلاح والفوز والنجاة، فهي بهذا تحول بين فاعلها وبين الخالق عزّ وجل، وتمنعه عن ذكر الله قولا، وعن الصلاة فعلا، وهذا يتناسب مع نطق هذا النوع من المقاطع التي تمنع جريان وامتداد النفس أثناء التلفظ بها.

وهو ثانيا: مقطع مغلق، بمعنى أنّ شارب الخمر وفاعل القمار المنغمس في شهواتهما وملذاتهما، بينه وبين الجنّة باب مغلق لا يمكن أن يُفْتَحَ إلاّ بالتوبة منهما والعودة إلى الله تعالى.

أمّا المقطع المتوسط المفتوح فدورانه في هذه الآية ضئيل، تكرّر7 مرّات بنسبة: 12,73%، كما أنّ المقطع الطويل (ص ح ح ص) قد تكرّر مرّتان فقط بنسبة:3,64%.

7 ـ الآية 112

أ/ نص الآية: يقول الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112)**﴾.

ب/ الدلالة الصوتية لمقاطع هذه الآية:

تنوعت المقاطع الصوتية المشكلة لهذه الآية الكريمة، شأنها في ذلك شأن معظم الآيات السابقة، شغلت المقاطع القصيرة كالعادة المساحة الأكبر على مستوى هذه الآية، حيث تكرّرت:22 مرّة من أصل52 مرّة، وذلك بنسبة:42,31%، غير أنّ هذا النوع قد عرف تراكما بارزا عند قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ**﴾، وذلك أنّ هذه القطعة القرآنية إن صحّ هذا التعبير تمثّل بؤرة الآية ومحورها الأساس الذي ترتكز عليه في مضمونها، ويمكن أن نفسّر هذا التراكم الصوتي للمقطع القصير في هذه القطعة بالذّات (13مرّة من أصل22 مرّة)، وذلك بالنظر إلى خصائصه من جهتين: "القِصَر"، وكأنّ الحَوَارِيين يفصل بينهم وبين الإيمان وتصديق نبوة سيّدنا "عيسى" عليه السلام طريق قصير متوقف على آية أخرى تطمئنّ بها قلوبهم، فيكون الإيمان حينها عين اليقين بعد أن كان علم اليقين، فهم بسؤالهم هذا لا من

أجل الشكّ في قدرة الله واستطاعته على تنزيل مائدة بها طعام وشراب، وإنّما ذلك من باب الأدب منهم زيادة في العلم واليقين والإيمان وبذلك تقوم الحجّة ويحصل زيادة البرهان. وأمّا الجهة الأخرى فهي: "قابلية الامتداد"، فعلى الرغم من البيّنات والمعجزات(***) التي رأوها من "عيسى بن مريم"، ومع ذلك أبوا إلّا أن يسألوه مزيدا من الآيات والبراهين (معجزة المائدة)، لعلّها تقوّي إيمانهم في قلوبهم ويعلمون منها أنّه صدقهم، ويشهدون بها له لمن سيأتي من بعدهم.

أمّا المقطع المتوسط فقد شهد هو الآخر تواترا متميّزا على مستوى هذه الآية؛ تكرّر فيها المغلق:18 مرّة بنسبة: 34,72%، والمفتوح:11 مرّة بنسبة:21,15%، لكنّه عرف ظهورا بيّنا خلال قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ**﴾، وذلك لتكرّره12 مرّة من أصل29مرّة بنسبة:41,38% ويمكن أن نفسّر تراكم هذا المقطع بغض النظر عن نوعه إن كان مغلقا أو مفتوحا بكونه قد دلّ على معنى: الوسطية أو التوسط؛ فالحَوَارِيُون في هذه الآية قد سألوا ربّهم بأن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلون منها، ولكنّهم في سؤالهم هذا قد اتّخذوا المسيح "عيسى بن مريم" وسيطا بينهم وبين الله تعالى، فكلّفوه بأن يسأل هو مسألتهم، ويطلب من الله مطلبهم (سألوا المسيح كي يسأل الله)، وهذا يعني أنّ سؤالهم لم يكن مباشرا لله تعالى بل كان للمسيح الذي تحمّل بدوره مسؤولية هذا السؤال، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ (114)**﴾المائدة/114.

ويؤكّد الإمام"الطبري" ما قلناه، فيقول مفسرا قوله تعالى ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ**﴾: «إنّا إنّما قلنا ذلك ـ أي الحواريين ـ وسألناك أن تسأل لنا ربّك لنأكل من المائدة، فنعلم يقينا قدرته على كلّ شيء، وتَسْكُن قلوبنا وتستقرّ على وحدانيته وقدرته على كلّ ما شاء وأراد، ونعلم أنّك لم تَكْذِبْنَا في خبرك أنّك لله رسول مرسل ونبيّ مبعوث، ونكون على المائدة ممّن يشهد أنّ الله أنزلها حجّة لنفسه علينا في توحيده وقدرته على ما شاء، ولك على صدقك في نبوّتك»(24).

أمّا المقطع (ص ح ح ص) فلم يقع في هذه الآية إلّا مرّة واحدة، حال الوقف على كلمة "مُومِنِينَ"، وذلك بنسبة لم تتجاوز: 2%؛ أي:1,92%.

8 ـ الآية 116

أ/ نص الآية: قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)**﴾.

ب/ الدلالة الصوتية لمقاطع هذه الآية:

شهدت هذه الآية عددا لا بأس به من المقاطع، إذ بلغ عددها99 مقطعا صوتيا. توزّعت على أربعة أنواع، احتلّت المقاطع القصيرة كما جرت العادة الصدارة (48 مقطع بنسبة:48,48%)، وهي كما أسلفنا تعبّر عن الامتداد والاستمرارية، وفي هذه الآية ما يوحي بهذه الدلالة؛ ففيها استمرار لتوبيخ المسيحين الذين افتروا على الله عزّ وجلّ، وقالوا بأنّه ثالث ثلاثة.

يبدو من خلال سياق الآية أنّها تعبّر عن مقامات حاسمة ومشاهد حادة وعنيفة، وهذا ما يمكن أن يمثّله تواتر المقطع المتوسط بنوعيه المغلق والمفتوح، فقد تكرّر"المغلق":28مرّة بنسبة:28,28%، وهو هنا يدلّ على مقام الجدّ والصرامة والحسم، وعلى تصوير الانفعالات الحادّة في هذا الموقف الرهيب، وكذا على تهديد المسيحين وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، وهذا المعنى يجسّده لنا أيضا في هذه الآية تواتر المقطع المتوسط المفتوح، والذي تكرّر بدوره على مستوى هذه الآية الكريمة 22مرّة بنسبة:22,22%. يقول "أحمد أبو زيد" متحدثا عن معاني هذا المقطع: «...أمّا المقاطع الممدودة فإنّها تعبّر عن معاني كثيرة، وتصوير مشاهد مختلفة كالتذكير والتقريع والتهديد، وكمواقف الندم والحسرة، ومواقف الدعوة إلى الخير، وكوصف النعمة السابقة وكالابتهالات»[25]. وها هو"سيّد قطب" من جهته يشير إلى دلالات المقطع المتوسط في هذه الآية مفسّرا إيّاها قائلا: «وإنّ الله ـ سبحانه ـ لَيَعْلَم ماذا قال "عيسى" للنّاس، ولكنّه الاستجواب الهائل الرهيب في اليوم العظيم المرهوب: الاستجواب الذي يقصد به إلى غير المسؤول، ولكن في صورته هذه وفي الإجابة عليه، ما يزيد من بشاعة موقف المؤهّلين لهذا العبد الصالح الكريم؛ إنّها الكبيرة التي لا يطيق بَشَر عادي أن يقذف بها.. أن يَدَّعي الألوهية، وهو يعلم أنّه عبد، فكيف برسول من أولى العزم؟.كيف بعيسى بن مريم وقد أسلف الله له هذه النعم كلّها بعدما اصطفاه بالرسالة وقبل ما اصطفاه؟.كيف به يواجه استجوابا عن ادّعاء الألوهية

وهو العبد الصالح المستقيم؟، من أجل ذلك كان الجواب الواجف الراجف الخاشع المنيب...يبدأ بالتسبيح والتنزيه: ﴿**قَالَ سُبْحَانَكَ**﴾»[26].

الهوامش:

1. ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1426هـ/2005م، مادة قَطَعَ.

2. ـ أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1 1427هـ/ 2006م، ص23.

3. ـ تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1394هـ/1974م، صص 138، 139.

4. ـ غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص190.

5. ـ عبد الصّبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط1400هـ /1980م، ص 38.

6. ـ ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، دب، دط، دس، ص 96.

(*) ـ إنّ أصوات اللين أو العلة أعلى وضوحا في السمع من السواكن، كما أنّها فيما بينها تختلف في درجة الوضوح نسبيا. وإذا رتّبناها بحسب درجات وضوحها، فإنّنا نرى أنّ أوضحها أصوات اللين التي تتفاوت درجة وضوحها بحسب الطول والقصر، فالطويلة ألف المدّ، واو المدّ، ياء المدّ، أوضح من القصيرة، الحركات: الفتحة، الضمة، الكسرة. ويليها الأصوات الساكنة مع تفاوت في درجة وضوحها، فاللاّم والنون والميم تعدّ أوضح من غيرها من السواكن، وتسمّى (أشباه أصوات اللين)، لأنّها تليها في درجة علوّها السمعي، ولإمكانها أن تحلّ محلّها، وما عداها من السواكن يقلّ عنها وضوحا. **ينظر: محمّد علي عبد الكريم الرُّدِيني: فصول في علم اللغة العام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، دط، 1430هـ/ 2009م، ص175.**

7. ـ عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 190.

8. ـ عبد القادر عبد الجليل: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1417هـ/ 1997م، ص 71.

9. ـ رمضان عبد التوّاب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1417هـ/1997م، ص 101.

10. ـ غانم قدوري الحمد: المرجع السابق، صص 193، 194.

11. ـ سليمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، السعودية، ط1 1403هـ/ 1983م، ص 131.

12. ـ فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أنموذجا، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2008م، ص 31.

(**) النبر يعني: «نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره (...)، ويتطلب النبر عادة بذل طاقة في النطق أكبر نسبيا، كما يتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد». **ينظر: كمال بشر: فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2003م، ص 255.**

13. ـ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، دط، دس، ص 87.

14. ـ حازم علي كمال الدّين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ/ 1999م، ص87.

15. ـ حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ/2005م، ص 213.

16. ـ المرجع نفسه، ص 214.

17. ـ محمّد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج1، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان، ومكتبة الشهباء، حلب، سورية، ط3، دس، ص48.

18. ـ المرجع نفسه، ص49.

19. ـ مسعود بودوخة: محاضرات في الصوتيات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 1434هـ/ 2013م، صص131، 132.

20. ـ أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ومطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1412هـ/1992م، ص321.

21. ـ جلال الدّين أبو عبد الرحمن السيوطي: أسباب النزول المسَمّى لُبَابُ النُّقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1 1422هـ/2002م، ص105.

22. ـ الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1994م، ص142.

23. ـ أحمد مصطفى (المراغي): تفسير المراغي، مج2، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 ،1421 هـ/2001م، ص328.

(***) ـ ينظر الآية: 110 من سورة المائدة.

24. ـ الطبري: المرجع السابق، ص207.

25. ـ أحمد أبو زيد: المرجع السابق، ص321.

26. ـ سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج2، ج7، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 1423هـ/2003م، ص1001.